

كيف يتعامل الشباب مع الروايات ؟

كنت أقول للشباب أن الخطيب - أي خطيب في الأعم الأغلب - لا يمكن أن تسلم له عقيدتك ومنهجك وفكرك، لأن الخطباء - ليس على نحو الإطلاق - لا يكلفون أنفسهم عناء البحث والتحقق، لذا فإنهم يسلكون الطريق الأسهل لترتيب مواضيعهم التي يطرحونها بأن يسلكوا منهاجاً معيناً مثلاً أو كتاباً معيناً تخفف عنهم عناء البحث وتسهل لهم التنقل بين هذا المنبر أو ذاك، ولذا أقول على الشباب على الأقل أن يتعرفوا ولو بشكل محمل على الطريقة الصحيحة للتعامل مع الروايات حتى لو سمع الشاب رواية ما قد يكون لا يتقبلها لسبب من الأسباب أن يسائل الناقل لها من أين أتى بها، أي ما هو مصدرها؟ وقد كان هذا أسلوب علمائنا كما نقل شيخ الطائفة الطوسي في عدته، وهل الرواية معترضة أو غير معترضة؟ وفيما ترتبط هذه الرواية؟ وهل هي صحيحة على جميع المبناني؟ أو هي صحيحة على مبني المحدث لو فرض أن هناك خطيب أو إمام جماعة يقول مثلاً «صحيحة فلان»؟ من هنا أحارول أن أوضح للشباب بعض هذه الأمور فأقول:

الروايات على نوعين:

١ - الروايات المتواترة

2 - وروایات الاحاد

١- المروءة: وهي خبر جماعة بلغوا في الكثرة إلى حد أحالت العادة اتفاقهم وتواطيهم على الكذب، ويحصل ياخبارهم العلم وإن كان للوازيم الخبر مدخلية في إفاده تلك الكثرة العلم.

وقيل: خبر جماعة يفيد بنفسه القطع بصدقه.

يعنى أنه لا بد أن تكون كل طبقة من طبقات الرواية مكونة من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب بلا استثناء وإذا وجدت في طبقة من الطبقات راوٍ واحد فهو خبر آحاد لا تواتر.

مثال: إذا كان الخبر منقولاً من النبي - مثلا - لابد أن يكون هناك عدد من الصحابة يستحيل تواظفهم على الكذب ثم التأمين ثم تابعي التأمين وهذا في كل طبقة من الطبقات إلى الشيخ الكليني - مثلا -

فيكون بدايته كنها يته ووسطه كطرفيه، فإذا احتل هذا المقدار فلا يمكن أن يكون تواتراً بل يكون خبر آحاد بحيث لو كان في إحدى الطبقات راوٍ واحد حكم عليه بكونه آحادي.

ويقسم الخبر الواحد - من حيث إفادته للعلم من عدمه - إلى قسمين:

1 - الخبر المحفوف بالقرينة وهذا يفيد العلم بمدوره من المعصوم. وسيأتي الحديث عن هذا بشكل مفصل.

2 - الخبر غير المحفوف بالقرينة وهذا يفيد الظن.

وأما موقف الشباب فإنهم قد لا يعرفون أن هذه الرواية متواترة أو آحادية فلذا عليه أن يلزموا المحدث - خطيباً كان أو إمام جماعة - بأن يبين لهم كيف هو التواتر ولماذا حكم به، لأن هذه المسألة بالخصوص كثيراً ما يدعى بها بعضهم دون أن يتبع نفسه فيها بل يلقى فيها جزافاً فعلى الشباب أن يلزموا محدثيهم ببيان كيفية التواتر ونوعه.

مبنى خبر الواحد:

ومع ما عرفت أيها الشاب الكريم من أن لخبر الواحد نوعان إلا أن الأكثر انتشاراً في كتبنا الحديثية هو النوع الثاني وهو غير المحفوف بالقرينة، والعلماء يختلفون في التعامل تجاهه بطريقتين أو مبنيتين هما:

مبني الوثاقة ومبني الوثوق

والفرق بينهما: أن الأول يعتمد وثاقة الراوي أساساً في الحجية، فإذا أحرزت وثاقته أخذ بالرواية سواء حمل الوثوق بمدورها أو لم يحصل كما هي طريقة السيد الخوئي مثلاً وغيره.

وأما الاتجاه الثاني فيرى أن العبرة بحصول الوثوق بالرواية لا بالراوي، فكلما حصل وثوق بمدورها كان ذلك كافياً للأخذ بها ولو لم تحرز وثاقة الرواية، وإذا لم يحصل الوثوق بها كان ذلك كافياً لرفضها حتى لو كان رواتها ثقة عدولًا.

وهذا المبني يفترض البداية في دراسة المضمون أولاً قبل حجية المدور ويعزو ذلك إلى عدم صحة الحديث في مورد معين يلزم منه انعدام الثمرة من رأس ولغوية البحث في المدور تماماً أما العكس فلا يتم فإن ضعف السندي لا يعني عدم صحة المضمون بل يبقى احتمال المدور وارداً فلو وافقت هذه الرواية عمومات القرآن مثلاً أو محكماته فإن هذا يقوى درجة احتمال المدور.

وعلى هذا يفترض أصحاب هذا المبني أنه لو كانت الرواية مخالفة للكتاب أو السنة فلا يبقى مجال لاحتمال المدور.

وعلى الشباب هنا أن يفرقوا بين هذين وأن يلزموا متحدثهم ببيان نوعية الصحيح، فهل أن الرواية صحيحة على مبني الوثوق أو مبني الوثاقة؟ وهل لأصحاب كل مبني إلزام المبني الآخر باعتماد الروايات على طريقته ومبناه أو لكل أصحاب مبني طريقتهم وجبيتهم للروايات مما كان حجة عند هؤلاء قد لا يكون حجة عند هؤلاء فتنبه أيها الشاب.

وتحصيل الوثوق والاطمئنان بمصدر الخبر على مبني الوثوق رهن توفر عناصر موضوعية تساعد على حصوله ومن أهمها:

1 - وثاقة الرواية.

2 - موافقة الخبر للكتاب.

3 - موافقته للسنة القطعية.

4 - موافقته وعدم مناقاته لأحكام العقل.

فهل أن الرواية عرضت على الكتاب والسنة ولم تخالف العقل أو لا؟ أم أن الرواية بمجرد أن يراها المحدث في أي كتاب له الحق أن يلقيها على الناس وأن يحكم فيها بما شاء.

نوعية الروايات:

والروايات على أنواع فمنها ما يرتبط بالعقائد، ومنها ما يرتبط بالأحكام «المسائل الفقهية»، ومنها

ما يرتبط بالتاريخ، ومنها ما يرتبط بالأخلاق فكيف تتقبل الرواية؟

أما الأمور العقائدية فليعلم الشباب أن المأمور به والمعتمد عليه فيأخذ الروايات عند علمائنا الأبرار المتقدمين منهم، والمتاخرين، ومتأخرى المتأخرین، والمعاصرين إلا من شد منهم فهي الروايات المتواترة ولبيست الآحادية بل أن ما يؤخذ به في العقائد كما قلنا في الكثير من مقالاتنا:

1 - القرآن الكريم وفيه معظم العقائد.

2 - السنة القطعية المتواترة وخبر الواحد المحفوظ بالقرينة «إن وجد»

3 - العقل الصريح.

وأما في الأحكام فإنه يعتمد أحد المبنيين السابقين الوثيق أو الوثيقة، وأما التاريخ فيرى بعض العلماء أن كثرة نقل الحادثة المعينة من عند المؤرخين كافية في قبولها حتى لو كانت رواياتها ضعيفة.

وعليه فعلى الشباب أن يتذمروا لذلك فهل أن الروايات مما يثبت بها مطلب عقائدي أو لا؟

فإن كان المطلب عقائدياً فلا بد أن يطالبوا محدثهم بروايات متواترة بأحد شقيها اللفظي أو المعنوي وأما التواتر الإجمالي فغير معتبر وليس له دخل في المسائل العقائدية.

ومن هنا نقول على الشباب أن لا يكونوا مجرد أوعية تتلقى كل الأفكار والآراء دون مناقشة، ودون محاسبة وعلى أي متحدث أن يتقبل المناقشة وردود الشباب وأن يحقق في الروايات وإلا يلتزم بقوله «روي عن الإمام» لا أن يقول «قال الإمام» كما هو حرام عند بعض العلماء أن يقول أحدهم «قال الإمام» دون تحقق.